تفسير إبن كثير

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ

(ويسبح الرعد بحمده) كما قال تعالى : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) [الإسراء : 44] .وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرني أبي قال : كنت جالسا إلى جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد ، فمر شيخ من بني غفار ، فأرسل إليه حميد ، فلما أقبل قال : يا ابن أخي ، وسع له فيما بيني وبينك ، فإنه قد صحب رسول االله صلى االله عليه وسلم . فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه ، فقال له حميد : ما الحديث الذي حدثتني عن رسول االله ، صلى االله عليه وسلم ؟ فقال الشيخ : سمعت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : " إن االله ينشئ السحاب ، فينطق أحسن النطق ، ويضحك أحسن الضحك " .والمراد - واالله أعلم - أن نطقها الرعد ، وضحكها البرق .وقال موسى بن عبيدة ، عن سعد بن إبراهيم قال : يبعث االله الغيث ، فلا أحسن منه مضحكا ، ولا آنس منه منطقا ، فضحكه البرق ، ومنطقه الرعد .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ،

حدثنا هشام بن عبيد االله الرازي ، عن محمد بن مسلم قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مصع بذنبه فذاك البرق .وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج ، حدثني أبو مطر ، عن سالم ، عن أبيه قال : كان رسول االله - صلى االله عليه وسلم - إذا سمع الرعد والصواعق قال : " اللهم ، لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك " .ورواه الترمذي ، والبخاري في كتاب الأدب ، والنسائي في اليوم والليلة ، والحاكم في مستدركه ، من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن أبي مطر ، ولم يسم به .وقال [الإمام] أبو جعفر بن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبيه عن رجل ، عن أبي هريرة ، رفع الحديث قال : إنه كان إذا سمع الرعد قال : " سبحان من يسبح الرعد بحمده " .وروي عن علي - رضي االله عنه - أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال : سبحان من سبحت له .وكذا روي عن ابن عباس ، والأسود بن يزيد ، وطاوس : أنهم كانوا يقولون كذلك .وقال الأوزاعي : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان االله وبحمده ، لم تصبه صاعقة .وعن عبد االله بن الزبير أنه كان إذا

سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، ويقول : إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض . رواه مالك في الموطأ ، والبخاري في كتاب الأدب .وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الطيالسي ، حدثنا صدقة بن موسى ، حدثنا محمد بن واسع ، عن شتير بن نهار ، عن أبي هريرة أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " قال ربكم عز وجل : لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل ، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولما أسمعتهم صوت الرعد " .وقال الطبراني : حدثنا زكريا بن يحيى الساجي ، حدثنا أبو كامل الجحدري ، حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر ، حدثنا عبد الكريم ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " إذا سمعتم الرعد فاذكروا االله ، فإنه لا يصيب ذاكرا " .وقوله : (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) أي : يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء ، ولهذا تكثر في آخر الزمان ، كما قال الإمام أحمد :حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا عمارة عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي االله عنه; أن النبي - صلى االله عليه وسلم - قال : " تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتى يأتي الرجل القوم فيقول : من صعق تلكم الغداة

؟ فيقولون صعق فلان وفلان وفلان " .وقد روي في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي :حدثنا إسحاق ، حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني ، حدثنا ثابت ، عن أنس : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال : " اذهب فادعه لي " . قال : فذهب إليه فقال : يدعوك رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فقال له : من رسول االله ؟ وما االله ؟ أمن ذهب هو ؟ أم من فضة هو ؟ أم من نحاس هو ؟ قال : فرجع إلى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فأخبره ، فقال : يا رسول االله ، قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك ، قال لي كذا وكذا . فقال : " ارجع إليه الثانية " . أراه ، فذهب فقال له مثلها . فرجع إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : يا رسول االله ، قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك . قال : " ارجع إليه فادعه " . فرجع إليه الثالثة . قال : فأعاد عليه ذلك الكلام . فبينا هو يكلمه ، إذ بعث االله ، عز وجل ، سحابة حيال رأسه ، فرعدت ، فوقعت منها صاعقة ، فذهب بقحف رأسه فأنزل االله : (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في االله وهو شديد المحال)ورواه ابن جرير ، من حديث علي بن أبي سارة ، به ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن عبدة بن عبد االله ، عن يزيد بن هارون ،

عن ديلم بن غزوان ، عن ثابت ، عن أنس ، فذكر نحوه .وقال : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا أبان بن يزيد ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن عبد الرحمن بن صحار العبدي : أنه بلغه أن نبي االله بعثه إلى جبار يدعوه ، فقال : أرأيتم ربكم ، أذهب هو ؟ أو فضة هو ؟ ألؤلؤ هو ؟ قال : فبينا هو يجادلهم ، إذ بعث االله سحابة فرعدت فأرسل عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، ونزلت هذه الآية .وقال أبو بكر بن عياش ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك ، [من أي شيء هو] من نحاس هو ؟ من لؤلؤ ؟ أو ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته ، وأنزل االله : (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء)وقال قتادة : ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن ، وكذب النبي - صلى االله عليه وسلم - فأرسل االله صاعقة فأهلكته وأنزل : (ويرسل الصواعق) الآية .وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما قدما على رسول االله - صلى االله عليه وسلم - المدينة ، فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر فأبى عليهما رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فقال له عامر بن الطفيل ، لعنه االله : أما واالله لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا . فقال له رسول االله ، صلى االله عليه وسلم

: يأبى االله عليك ذلك وأبناء قيلة . يعني : الأنصار ، ثم إنهما هما بالفتك بالنبي - صلى االله عليه وسلم - وجعل أحدهما يخاطبه ، والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه ، فحماه االله منهما وعصمه ، فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب ، يجمعان الناس لحربه ، عليه السلام فأرسل االله على أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقته . وأما عامر بن الطفيل فأرسل االله عليه الطاعون ، فخرجت فيه غدة عظيمة ، فجعل يقول : يا آل عامر ، غدة كغدة البكر ، وموت في بيت سلولية ؟ حتى ماتا لعنهما االله ، وأنزل االله في مثل ذلك :(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة ، أخو أربد يرثيه :أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجدوقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا مسعدة بن سعد العطار ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثني عبد العزيز بن عمران ، حدثني عبد الرحمن وعبد االله ابنا زيد بن أسلم ، عن أبيهما ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، أن أربد بن قيس بن جزء بن جليد بن جعفر بن كلاب ، وعامر بن الطفيل بن مالك ، قدما المدينة على رسول االله - صلى االله عليه وسلم ، فانتهيا إليه وهو جالس ، فجلسا بين يديه ، فقال عامر

بن الطفيل : يا محمد ، ما تجعل لي إن أسلمت ؟ فقال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم " . قال عامر بن الطفيل : أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك ؟ قال رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل " . قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، اجعل لي الوبر ولك المدر . قال رسول االله : " لا " . فلما قفلا من عنده قال عامر : أما واالله لأملأنها عليك خيلا ورجالا فقال له رسول االله ، صلى االله عليه وسلم : " يمنعك االله " . فلما خرج أربد وعامر ، قال عامر : يا أربد ، أنا أشغل عنك محمدا - صلى االله عليه وسلم - بالحديث ، فاضربه بالسيف ، فإن الناس إذا قتلت محمدا لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ، ويكرهوا الحرب ، فنعطيهم الدية . قال أربد : أفعل . فأقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد ، قم معي أكلمك . فقام معه رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فجلسا إلى الجدار ، ووقف معه رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يكلمه ، وسل أربد السيف ، فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف ، فلم يستطع سل السيف ، فأبطأ أربد على عامر بالضرب ، فالتفت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فرأى أربد ، وما يصنع ، فانصرف عنهما . فلما خرج عامر

وأربد من عند رسول االله - صلى االله عليه وسلم - حتى إذا كانا بالحرة ، حرة واقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا اشخصا يا عدوي االله ، لعنكما االله . فقال عامر : من هذا يا سعد ؟ قال : هذا أسيد بن حضير الكتائب فخرجا حتى إذا كانا بالرقم ، أرسل االله على أربد صاعقة فقتلته ، وخرج عامر حتى إذا كان بالخريم ، أرسل االله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول : غدة كغدة الجمل في بيت سلولية ترغب أن يموت في بيتها! ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعا ، فأنزل االله فيهما : (االله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام) إلى قوله : (وما لهم من دونه من وال) [الرعد : 8 - 11] - قال : المعقبات من أمر االله يحفظون محمدا - صلى االله عليه وسلم - ثم ذكر أربد وما قتله به ، فقال : (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الآية .وقوله : (وهم يجادلون في االله) أي : يشكون في عظمته ، وأنه لا إله إلا هو ، (وهو شديد المحال)قال ابن جرير : شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره .وهذه الآية شبيهة بقوله : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا

دمرناهم وقومهم أجمعين) [النمل : 50 ، 51] .وعن علي ، رضي االله عنه : (وهو شديد المحال) أي : شديد الأخذ . وقال مجاهد : شديد القوة .